إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا....

بقلم الدكتور:زغلول النجار

في الوقت الذي ساد اعتقاد الناس بثبات الأرض وسكونها، جاء القرآن الكريم بالتأكيد على جريها وسبحها، وعلى جري كافة أجرام السماء وسبحها في فسحة الكون الرحيب، ولكن لما كانت هذه الحقائق خافية على الناس في زمن تنزل الوحي فقد جاءت الإشارات القرآنية إليها بصياغة لطيفة، رقيقة، غير مباشرة حتى لا تصدهم عن قبوله فيحرموا نور الرسالة الخاتمة، ويكون ذلك سببا في حرمان البشرية من هديها..!!

من هنا جاءت الإشارات القرآنية إلى عدد من الحقائق الكونية التي كانت غائبة عن علم الناس في زمن الوحي "ومنها حركات الأرض " بصياغة مجملة، غير مباشرة، ولكنها في نفس الوقت صياغة بالغة الدقة في التعبير، والشمول في الدلالة، والإحاطة بالحقيقة الكونية، لتبقى مهيمنة على المعرفة الإنسانية مهما اتسعت دوائرها، وشاهدة للقرآن الكريم بأنه كلام ا لله الخالق، وللنبي الخاتم الذي تلقي الوحي به(صلى الله عليه وسلم) بأنه كان معلما من قبل خالق السماوات والأرض، ومؤكدة على وصفه(صلى الله عليه وسلم) للقرآن الكريم بأنه لا تنتهي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد.

الإشارات القرآنية إلى حركات الأرض:

استعاض القرآن الكريم في الإشارة إلى حركات الأرض بغشيان(أو بتغشية) كل من الليل والنهار للآخر، واختلافهما، وتقلبهما، وولوج كل منهما في الآخر، وبسلخ النهار من الليل، وبمرور الجبال مر السحاب، وبالتعبير القرآني المعجز عن سبح كل من الليل والنهار كناية عن الحركات الانتقالية للأرض، وذلك على النحو التالي:

أولا: آيات غشيان الليل النهار:

وجاء ذكرها في آيتي الأعراف رقم(٥٤)، والرعد رقم(٣) كما سوف يفصل بعد ذلك بقليل.

ثانيا: آيات اختلاف كل من الليل والنهار:

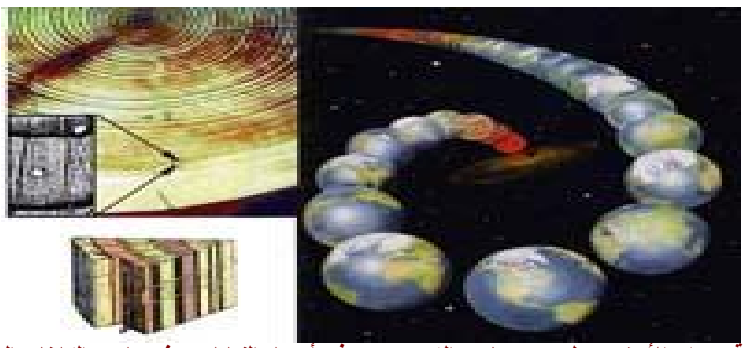

تباطؤ سرعة دوران الأرض حول محورها مع الزمن مدون في أجساد النباتات وغيرها من الكائنات الحية والبائدة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهي خمس آيات كريمة تؤكد كروية الأرض ودورانها حول محورها أمام الشمس يقول فيها الحق تبارك وتعالى:
(١) إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار..... لآيات لقوم يعقلون (البقرة:١٦٤)

(٢) إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب (آل عمران:١٩٠)
(٣) إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون (يونس:٦)
(٤) وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون(المؤمنون:٨٠)
(٥) إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين* وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون* واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون (الجاثية:٢ -٥)

ويؤكد القرآن الكريم اختلاف الليل والنهار بتعبير آخر يقول فيه ربنا(تبارك وتعالى):
(٦) وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا (الفرقان:٦٢)

وبتعبير ثالث يقول فيه(سبحانه وتعالى):
(٧) والليل إذ أدبر* والصبح إذا أسفر*(المدثر:٣٣،٣٤)

وبتعبير رابع يقول فيه ربنا(تبارك وتعالى):
(٨) والليل إذا عسعس* والصبح إذا تنفس(التكوير:١٧،١٨)

ثالثا: آية تقليب الليل والنهار:

وقد جاءت في سورة النور حيث يقول الخالق(سبحانه وتعالى):
يقلب الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار(النور:٤٤)
وفيها إشارة واضحة إلى دوران الأرض حول محورها أمام الشمس.

رابعا: آيات إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل:

وهي خمس آيات يقول فيها ربنا(تبارك وتعالى):
(١) تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل.(آل عمران:٢٧)
(٢) ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير (الحج:٦١)
(٣) ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل....(لقمان:٢٩)
(٤) يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل...(فاطر١٣)
(٥) يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور (الحديد:٦)

والولوج لغة هو الدخول، ولما كان من غير المعقول دخول زمن في زمن آخر، اتضح لنا أن المقصود بكل من الليل والنهار هنا هو المكان الذي يتغشيانه أي الأرض، بمعنى أن الله(تعالى) يدخل نصف الأرض الذي يخيم عليه ظلام الليل بالتدريج في مكان النصف الذي يعمه النهار، كما يدخل نصف الأرض الذي يعمه النهار بالتدريج في مكان النصف الذي تخيم عليه ظلمة الليل، وهو ما يشير إلى كل من كروية الأرض ودورانها حول محورها أمام الشمس بطريقة غير مباشرة، ولكنها تبلغ من الدقة والشمول والإحاطة ما يعجز البيان عن وصفه.

خامسا: آية سلخ النهار من الليل:

ويقول فيها ربنا(تبارك وتعالى):
وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون(يس:٣٧)

ومعنى ذلك أن الله(تعالى) ينزع نور النهار من أماكن الأرض التي يتغشاها الليل بالتدريج كما ينزع جلد الذبيحة عن كامل بدنها بالتدريج، و لا يكون ذلك إلا بدوران الأرض حول محورها أمام الشمس، و هذا النص القرآني سبق بالإشارة إلى رقة طبقة النهار في نصف الكرة الأرضية المواجه للشمس، وهي حقيقة لم يدركها الإنسان إلا بعد ريادة الفضاء في النصف الثاني من القرن العشرين حيث ثبت أن سمك طبقة النهار حول الأرض لا يتعدى المائتي كيلو متر فوق سطح البحر، وإذا نسب ذلك إلى المسافة التي تفصل بيننا وبين الشمس(والمقدرة بحوالي المائة والخمسين مليونا من الكيلو مترات) فإنها لا تتجاوز الواحد إلى سبعمائة وخمسين ألفا تقريبا، وإذا نسب إلى نصف قطر الجزء المدرك من الكون(والمقدر بأكثر من عشرة آلاف مليون من السنين الضوئية*٩,٥ مليون مليون كيلو متر) اتضحت ضآلته، واتضحت كذلك لمحة الإعجاز القرآني في تشبيه انحسار طبقة النهار الرقيقة عن ظلمة الليل بسلخ جلد الذبيحة الرقيق عن كامل بدنها، وفي التأكيد على أن الظلام هو الأصل في الكون، وان نور النهار ظاهرة رقيقة عارضة لا تظهر إلا في الطبقات الدنيا من الغلاف الغازي للأرض في نصفها المواجه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للشمس.

سادسا: آيتا سبح كل من الليل والنهار كناية عن سبح الأرض في مداراتها المختلفة:
ويقول فيهما ربنا(تبارك وتعالى:)
(١) وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون(الأنبياء:٣٣)
(٢) لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون (يس:٤٠)

سابعا: آية مرور الجبال مر السحاب:
وفيها يقول الخالق(سبحانه وتعالى):
وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شئ إنه خبير بما تعملون(النمل:٨٨)
ومرور الجبال مر السحاب هو كناية عن دوران الأرض حول محورها، وعن جريها وسبحها في مداراتها، وذلك لأن الغلاف الغازي للأرض الذي يتحرك فيه السحاب مرتبط بالأرض برباط الجاذبية، وحركته منضبطة مع حركة كل من الأرض، والسحاب المسخر فيه.

غشيان(تغشية) الليل النهار:

جاء ذكر هذه الحقيقة الكونية في آيتين كريمتين من آيات القرآن العظيم يقول فيهما ربنا(تبارك وتعالى):
(١) إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين*)(الأعراف:٥٤)
(٢) وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون(الرعد٣)

كذلك جاء ذكر تجلية النهار للشمس، وتغشيتها بالليل في قول الحق(تبارك وتعالى):
والشمس وضحاها* والقمر إذا تلاها* والنهار إذا جلاها* والليل إذا يغشاها(الشمس:١ ـ ٤)
وجاء ذكر تغشية الليل وتجلية النهار دون تفصيل في قول ربنا(تبارك وتعالى):
والليل إذا يغشى* والنهار إذا تجلى (الليل:١،٢)

والفعل(يغشي) مستمد من(الغشاء) وهو الغطاء، يقال غشى بمعنى غطى وستر، ويقال(غشاه) و(تغشاه) (تغشية) أي غطاه تغطية، و(أغشاه) إياه غيره، و(الغشوة) بفتح الغين وضمها وكسرها و(الغشاوة) ما يتغطى أو يغطى به الشيء، ويقال(غشية)(غشيانا) و(غشاوة) و(غشاء) أي جاءه مجيء ما قد غطاه وستره، و(استغشى) بثوبه و(تغشى) به أي تغطي به، و(الغاشية) كل ما يغطى الشيء كغاشية السرج، و(الغاشية) تستخدم كناية عن القيامة التي(تغشى) الخلق بأهوالها وجمعها(غواش)، و(غاشية تغشاهم) أي أمر يعمهم سواء كان شرا أم خيرا من مثل نائبة تجللهم أو فرح يعمهم.
من ذلك يتضح أن من معاني يغشى الليل النهار أن الله(تعالى) يغطي بظلمة الليل مكان نور النهار على الأرض بالتدريج فيصير ليلا، ويغطي بنور النهار مكان ظلمة الليل على الأرض بالتدريج فيصير نهارا، وهي إشارة لطيفة إلى كل من كروية الأرض ودورانها حول محورها أمام الشمس دورة كاملة في كل يوم مدته ٢٤ ساعة، يتقاسمها " بتفاوت قليل " الليل والنهار، في تعاقب تدريجي ينطق بطلاقة القدرة الإلهية المبدعة، فلو لم تكن الأرض كروية الشكل ما استطاعت الدوران حول محورها، ولو لم تدر حول محورها أمام الشمس ما تبادل الليل والنهار.
والقرآن الكريم يستخدم تعبير الليل والنهار في مواضع كثيرة استخداما مجازيا للإشارة إلى كوكب الأرض، كما يشير بهما إلى كل من الظلمة والنور " على التوالي " وإلى العديد من المظاهر المصاحبة لهما من مثل قوله (تعالى): والشمس وضحاها* والقمر إذا تلاها* والنهار إذا جلاها* والليل إذا يغشاها (الشمس:١ ـ ٤)

وفي هذه الآيات الكريمة يقسم ربنا تبارك وتعالى(وهو الغني عن القسم) بالنهار الذي يجلي الشمس أي يظهرها واضحة جلية لسكان الأرض، وهي حقيقة لم يدركها العلماء إلا من بعد ريادة الفضاء في النصف الأخير من القرن العشرين، حين اكتشفوا أن نور النهار المبهج لا يتعدى سمكه مائتي كيلو متر فوق مستوى سطح البحر في نصف الكرة الأرضية المواجه للشمس، وأن هذا الحزام الرقيق من الغلاف الغازي للأرض يصفو من الملوثات وتقل كثافته بالارتفاع على سطح الأرض، بينما تزداد كثافته ونسب كل من بخار الماء وهباءات الغبار فيه كلما اقترب من سطح الأرض، ويقوم ذلك التركيز وتلك الهباءات من الغبار بالمساعدة على تشتيت ضوء الشمس، وتكرار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

انعكاسه مرات عديدة حتى يظهر لنا باللون الأبيض المبهج الذي يميز النهار كظاهرة نورانية مقصورة على النطاق الأسفل من الغلاف الغازي للأرض في نصفها المواجه للشمس، بينما يعم الظلام الكون المدرك في غالبية أجزائه، وتبدو الشمس بعد تجاوز نطاق نور النهار قرصا أزرق في صفحة سوداء، ومن هنا فهمنا المعنى المقصود من أن النهار يجلي الشمس، بينما ظل كل الناس إلى أواخر القرن العشرين وهم ينادون بأن الشمس هي التي تجلي النهار، فسبحان الذي أنزل تلك الحقيقة الكونية من قبل ألف وأربعمائة سنه، والتي لم يكتشفها العلم التجريبي إلا في النصف الأخير من القرن العشرين...!!!

كذلك يقسم ربنا(تبارك وتعالى) في سورة الليل " وهو(تعالى) غني عن القسم " بقوله عز من قائل:
والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى(الليل: ١،٢) وهو قسم بالليل(أي ليل الأرض) الذي يغشى أي يغطي نصف الكرة الأرضية البعيد عن الشمس بالظلام لعدم مواجهته للشمس، وقسم بالنهار(أي نهار الأرض) الذي تشرق فيه الشمس على نصف الكرة الأرضية المواجه لها فيعمه نور النهار، وبتعاقبهما تستقيم الحياة على الأرض، ويتمكن الإنسان من إدراك مرور الزمن والتاريخ للأحداث.
وحينما يغشى الليل بظلمته نصف الأرض، البعيد عن الشمس تتصل ظلمة الأرض بظلمة السماء فيعم الظلام، وفي نفس الوقت يتجلى النهار في نصف الأرض المواجه للشمس بنوره المبهج فاصلا الأرض عن ظلمة الكون بحزام رقيق من النور الأبيض لا يكاد يتعدى سمكه المائتي كيلو متر.

ويمن علينا ربنا(تبارك وتعالى) بتبادل كل من الليل والنهار فيقول(سبحانه):
قل أرءيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون* قل أرءيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون* ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون(القصص: ٧١ -٧٣)
ويقول(عز من قائل):
وجعلنا الليل لباسا، وجعلنا النهار معاشا(النبأ: ١٠، ١١)

يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا

يتساءل قارئ القرآن الكريم عن الوصف حثيثا الذي جاء في الآية(رقم ٥٤) من سورة الأعراف ولم يذكر في بقية آيات تغشية الليل النهار، أو التغشية بغير تحديد، وللإجابة على ذلك أقول إن آية سورة الأعراف مرتبطة بالمراحل الأولى من خلق السماوات والأرض، بينما بقية الآيات تصف الظاهرة بصفة عامة.
واللفظة(حثيثا) تعني مسرعا حريصا، يقال(حثه) من باب رده و(استحثه) على الشيء أي حضه عليه(فاحتث)، و(حثثه تحثيثا وحثحثة) بمعنى حضه، و(تحاثوا) بمعنى تحاضوا.

والدلالة الواضحة للآية الكريمة(رقم ٥٤) من سورة الأعراف أن حركة تتابع الليل والنهار(أي حركة دوران الأرض حول محورها أمام الشمس) كانت في بدء الخلق سريعة متعاقبة بمعدلات أعلى من سرعتها الحالية وإلا ما غشي الليل النهار يطلبه حثيثا، وقد ثبت ذلك أخيرا عن طريق دراسة مراحل النمو المتتالية في هياكل الحيوانات وفي جذوع الأشجار المعمرة والمتأحفرة، وقد انضوت دراسة تلك الظاهرة في جذوع الأشجار تحت فرع جديد من العلوم التطبيقية يعرف باسم علم تحديد الأزمنة بواسطة الأشجار أو (Dendrochronology) وقد بدأ هذا العلم بدراسة الحلقات السنوية التي تظهر في جذوع الأشجار عند عمل قطاعات مستعرضة فيها وهي تمثل مراحل النمو المتتالية في حياة النبات(من مركز الساق حتى طبقة الغطاء الخارجي المعروفة باسم اللحاء)، وذلك من أجل التعرف على الظروف المناخية والبيئية التي عاشت في ظلها تلك الأشجار حيث أن الحلقات السنوية في جذوع الأشجار تنتج بواسطة التنوع في الخلايا التي يبنيها النبات في فصول السنة المتتابعة(الربيع، والصيف، والخريف، والشتاء) فترق رقة شديدة في فترات الجفاف، وتزداد سمكا في الآونة المطيرة.
وقد تمكن الدارسون لتلك الحلقات السنوية من متابعة التغيرات المناخية المسجلة في جذوع عدد من الأشجار الحية المعمرة مثل أشجار الصنوبر ذات المخاريط الشوكية المعروفة باسم (Pinusaristata) إلى أكثر من ثمانية آلاف سنة مضت، ثم انتقلوا إلى دراسة الأحافير عبر العصور الأرضية المتعاقبة، وطوروا تقنياتهم من أجل ذلك فتبين لهم أن الحلقات السنوية في جذوع الأشجار (AnnualRings) وخطوط النمو في هياكل الحيوانات (LinesofGrowth) يمكن تصنيفها إلى السنوات المتتالية، بفصولها الأربعة، وشهورها الإثني عشر، وأسابيعها الستة والخمسين، وأيامها، ونهار كل يوم وليلة وأن عدد الأيام في السنة يتزايد باستمرار مع تقادم عمر العينة المدروسة، ومعنى ذلك أن سرعة دوران الأرض حول محورها أمام الشمس كانت في القديم أسرع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منها اليوم، وهنا تتضح روعة التعبير القرآني يطلبه حثيثا عند بدء الخلق كما جاء في الآية رقم(٥٤) من سورة الأعراف.
تزايد عدد أيام السنة بتقادم عمر الأرض وعلاقتها بالسرعة الفائقة لدوران الأرض حول محورها عند بدء الخلق

في أثناء دراسة الظروف المناخية والبيئية القديمة كما هي مدونة في كل من جذوع النباتات وهياكل الحيوانات القديمة اتضح للدارسين أنه كلما تقادم الزمن بتلك الحلقات السنوية وخطوط النمو زاد عدد الأيام في السنة، وزيادة عدد الأيام في السنة هو تعبير دقيق عن زيادة سرعة دوران الأرض حول محورها أمام الشمس.
وبتطبيق هذه الملاحظة المدونة في الأحافير(البقايا الصلبة للكائنات البائدة) بدقة بالغة أتضح أن عدد أيام السنة في العصر الكمبري(CambrianPeriod) أي منذ حوالي ستمائة مليون سنة مضت ـ كان٤٢٥ يوما، وفي منتصف العصر الأوردوفيشي (OrdovicianPeriod) أي منذ حوالي٤٥٠ مليون سنة مضت ـ كان٤١٥ يوما، وبنهاية العصر الترياسي (TriassicPeriod) أي منذ حوالي مائتي مليون سنة مضت ـ كان٣٨٥ يوما، وهكذا ظل هذا التناقص في عدد أيام السنة(والذي يعكس التناقص التدريجي في سرعة دوران الأرض حول محورها) حتى وصل عدد أيام السنة في زماننا الراهن إلى٣٦٥،٢٥ يوم تقريبا(٣٦٥ يوما،٥ ساعات،٤٩ دقيقة، ١٢ ثانية). وباستكمال هذه الدراسة اتضح أن الأرض تفقد من سرعة دورانها حول محورها أمام الشمس واحدا من الألف من الثانية في كل قرن من الزمان بسبب كل من عمليتي المد والجزر وفعل الرياح المعاكسة لاتجاه دوران الأرض حول محورها، وكلاهما يعمل عمل الكابح(الفرامل) التي تبطئ من سرعة دوران الأرض حول محورها. وبمد هذه الدراسة إلى لحظة تبيس القشرة الخارجية للأرض(أي قريبا من بداية خلقها على هيئتها الكوكبية) منذ حوالي٤،٦٠٠ مليون سنة مضت وصل عدد الأيام بالسنة إلى٢٢٠٠ يوم تقريبا، ووصل طول الليل والنهار معا إلى حوالي الأربع ساعات، ومعنى هذا الكلام أن سرعة دوران الأرض حول محورها أمام الشمس كانت ستة أضعاف سرعتها الحالية..!! فسبحان الله الذي أنزل في محكم كتابه من قبل ألف وأربعمائة سنة قوله الحق:
إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا... (الأعراف:٥٤)

وسبحان الله الذي أبقى لنا في هياكل الكائنات الحية والبائدة ما يؤكد تلك الحقيقة الكونية، حتى تبقي هذه الإشارة القرآنية الموجزة يطلبه حثيثا مما يشهد بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم، وبأنه كلام الله الخالق، وبأن خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تلقاه عن طريق الوحي كان موصولا برب السماوات والأرض، وأنه(صلى الله عليه وسلم) ما كان ينطق عن الهوى...!!

ارتباك دوران الأرض قبل طلوع الشمس من مغربها

بمعرفة كل من سرعة دوران الأرض حول محورها أمام الشمس في أيامنا الراهنة، ومعدل تباطؤ سرعة هذا الدوران مع الزمن، توصل العلماء إلى الاستنتاج الصحيح أن أرضنا سوف يأتي عليها وقت تجبر فيه على تغيير اتجاه دورانها بعد فترة من الاضطراب، فمنذ اللحظة الأولى لخلقها إلى اليوم وإلى أن يشاء الله تدور أرضنا من الغرب إلى الشرق، فتبدو الشمس طالعة من الشرق، وغاربة في الغرب، فإذا انعكس اتجاه دوران الأرض طلعت الشمس من مغربها وهو من العلامات الكبرى للساعة ومن نبوءات المصطفى(صلى الله عليه وسلم)
فعن حذيفة بن أسيد الغفاري(رضي الله عنه) أنه قال:
اطلع النبي(صلى الله عليه وسلم) علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذاكرون؟، قلنا: نذكر الساعة،
فقال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر: الدخان، الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم
وعن عبد الله بن عمرو(رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله(صلى الله عليه وسلم) يقول: إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثرها قريبا.

وفي حديث الدجال الذي رواه النواس بن سمعان(رضي الله عنه) قال: ذكر رسول الله(صلى الله عليه وسلم)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدجال.. قلنا يا رسول الله: وما لبثه في الأرض؟ قال(صلى الله عليه وسلم): أربعون يوما، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم، قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال (صلى الله عليه وسلم): لا، اقدروا له...
ومن الأمور العجيبة أن يأتي العلم التجريبي في أواخر القرن العشرين ليؤكد أنه قبل تغيير اتجاه دوران الأرض حول محورها أمام الشمس ستحدث فترة اضطراب نتيجة لتباطؤ سرعة دوران الأرض حول محورها، وفي فترة الاضطراب تلك ستطول الأيام بشكل كبير ثم تقصر وتنتظم بعد ذلك.

ويعجب الإنسان لهذا التوافق الشديد بين نبوءة المصطفى(صلى الله عليه وسلم) وما أثبته العلم التجريبي في أواخر القرن العشرين، والسؤال الذي يفرض نفسه: من الذي علم ذلك لهذا النبي الأمي(صلى الله عليه وسلم)؟ ولماذا أشار القرآن الكريم إلى مثل هذه القضايا الغيبية التي لم تكن معروفة في زمن الوحي؟ ولا لقرون من بعده؟ لولا أن الله(تعالى) يعلم بعلمه المحيط أن الإنسان سيصل في يوم من الأيام إلى اكتشاف تلك الحقائق الكونية فتكون هذه الإشارات المضيئة في كتاب الله وفي أحاديث خاتم أنبيائه ورسله(صلى الله عليه وسلم) شهادة له بالنبوة وبالرسالة، في زمن التقدم العلمي والتقني الذي نعيشه.

خطأ شائع يجب تصحيحه:

يظن بعض الناس أننا إذا أدركنا في صخور الأرض أو في صفحة السماء عددا من معدلات التغيير الآنية في النظام الكوني الذي نعيش فيه فإنه قد يكون من الممكن أن نحسب متى ينتهي هذا النظام، وبمعنى آخر متى تكون الساعة...!!
وهذا وهم لا أساس له من الصحة لأن الآخرة لها من السنن والقوانين ما يغاير سنن الدنيا، وأنها تأتي فجأة بقرار إلهي كن فيكون، دون انتظار لرتابة السنن الكونية الراهنة التي تركها لنا ربنا(تبارك وتعالى) رحمة منه بنا، إثباتا لإمكان حدوث الآخرة، وقرينة علمية على حتمية وقوعها والتي جادل فيها أهل الكفر والإلحاد عبر التاريخ، والذين كانت حجتهم الواهية الإدعاء الباطل بأزلية العالم، وهو ادعاء أثبتت العلوم الكونية في عطاءاتها الكلية بطلانه بطلانا كاملا...!!!

فعلى سبيل المثال " لا الحصر " تفقد شمسنا من كتلتها في كل ثانية على هيئة طاقة مايساوي ٤،٦ مليون طن من المادة(أي نحو أربعة بلايين طن في اليوم)، ونحن نعرف كتلة الشمس في وقتنا الحاضر فهل يمكن لعاقل أن يتصور إمكان استمرار الشمس حتى آخر جرام من مادتها؟ وحينئذ يمكن بقسمة كتلة الشمس على ما تفقده في اليوم أن ندرك كم بقي من عمرها؟
هذا كلام يرفضه العقل السليم، لأن الساعة قرار إلهي غير مرتبط بفناء مادة الشمس، وإن أبقى لنا ربنا(تبارك وتعالى) هذه الظاهرة من الإفناء التدريجي للشمس، ولغيرها من نجوم السماء دليلا ماديا ملموسا على حتمية الآخرة، أما متى تكون؟ فهذا غيب مطلق في علم الله، لا يعلمه إلا هو(سبحانه وتعالى).

وبالمثل فإن الحرارة تنتقل في كوننا المدرك من الأجسام الحارة إلى الأجسام الباردة، ويفترض قانون انتقال الحرارة استمرار تلك العملية حتى تتساوى درجة حرارة كل أجرام الكون وينتهي كل شئ، فهل يمكن لعاقل أن يتصور استمرار الوجود حتى تتساوى درجة حرارة كل الأجرام في الكون، أم أن هذا قرار إلهي: كن فيكون غير مرتبط بانتقال الحرارة من الأجسام الحارة إلى الأجسام الباردة، وإن أبقاها الله(تعالى) قرينة مادية ملموسة على حتمية الآخرة؟ وعلى أن الكون الذي نحيا فيه ليس أزليا ولا أبديا، فقد كانت له بداية، ولابد أن ستكون له في يوم من الأيام نهاية؟ وهذا ما أثبتته جميع الدراسات العلمية في عصر تفجر المعرفة الذي نعيشه، وأن تلك النهاية لن تتم برتابة الأحداث الدنيوية في الجزء المدرك من الكون، بل هي قرار إلهي فجائي لا يعلم وقته إلا الله سبحانه وتعالى ولذلك أنزل لنا في محكم كتابه قوله الحق مخاطبا خاتم أنبيائه ورسله(صلى الله عليه وسلم):
يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون) الأعراف:١٨٧)

كما أنزل(سبحانه وتعالى) كذلك في المعنى نفسه:
يسألونك عن الساعة أيان مرساها* فيم أنت من ذكراها* إلى ربك منتهاها* إنما أنت منذر من يخشاها* كأنهم يوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها(النازعات:٤٢ ـ٤٦)
وعلى ذلك جاء رد المصطفى(صلى الله عليه وسلم) على جبريل(عليه السلام) حين سأله في جمع من الصحابة: فأخبرني عن الساعة؟ بقوله الشريف: ما المسئول عنها بأعلم من السائل.

فسبحان الله الذي أنزل القرآن الكريم بالحق، أنزله بعلمه، وجعله معجزة خاتم أنبيائه ورسله(صلى الله عليه وسلم) إلى قيام الساعة، وجعله مهيمنا على المعرفة الإنسانية مهما اتسعت دوائرها في كل أمر ذكر فيه، وجعل كل آية من آياته، وكل كلمة من كلماته، وكل حرف من حروفه، وكل إشارة، ودلالة، ووصف فيه مما يشهد بأنه كلام الله الخالق، ويشهد للنبي الخاتم(صلى الله عليه وسلم) بالنبوة والرسالة الخاتمة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com